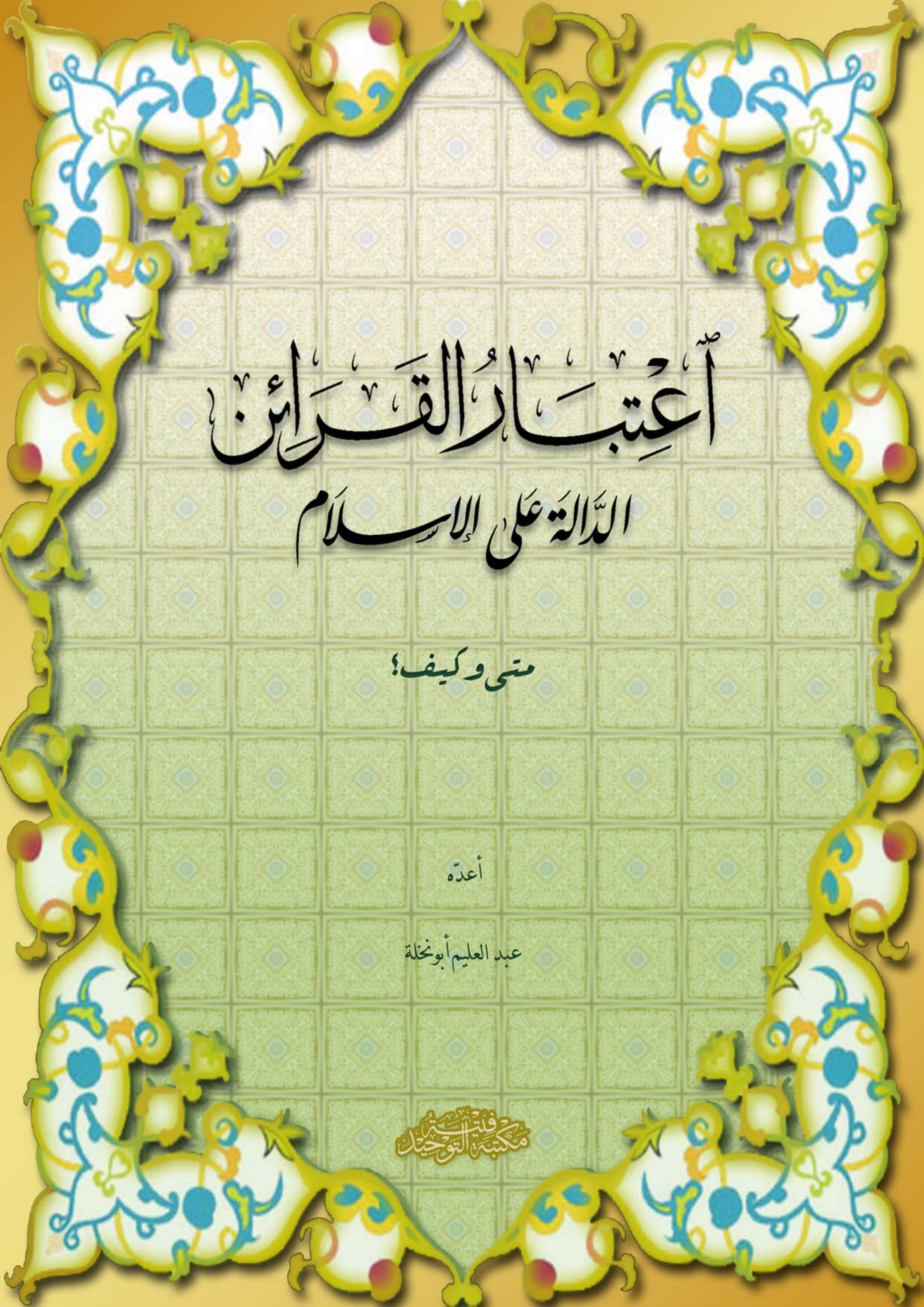

اعتبار القرائن
الدالة على الإسلام
متى وكيف؟
أعدّه
عبد العليم أبونخلة
مكتبة فتية التوحيد

أعتبار القرائن

الدالة على الاسلام



maktabat_fetyat_attawheed@yahoo.com

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث هدىً ورحمة للثقلين وعلى من اتبعه إلى يوم الدين..

أما بعد:-

المبحث الأول:-

في هذا المبحث سنقدم سبعة أسئلة مفيدة في مسألة من مسائل العقيدة، وهي عن مدى اعتبار الأقوال والأفعال والعلامات والشعائر الشرعية كقرائن على إسلام الشخص أو الطائفة إذا اشْتُهر عنهم نقضهم للإسلام في قضايا أخرى من الدين. وما يلزم المخالف في هذه المسألة.

ولتسهيل الأمر سنذكر واقعاً مشهوراً ومعلوماً لأحد الأقوام قبل كل سؤال ليكون مثلاً ودليلاً لازماً لإجابة المسألة، والله الموفق لما فيه الخير.

١-مشركي العرب أيام رسول الله ﷺ اشتهر عنهم وعُلِم من حالهم أنهم كانوا إذا سافروا في سفينة وهاج عليهم البحر دعوا الله مخلصين له الدين، فما إن ينزلوا إلى البرّ إذا هم يشركون.. وقد أخبرنا الله ﷻ عنهم، وكما جاء في قصة عكرمة حين أراد ركوب البحر هارباً من مكة بعد فَتْحِها فقيل له إذا أردت الركوب معنا نشترط عليك الإخلاص في الدعاء إذا هاج البحر...

والسؤال هنا: هل يمكن الحكم على مشركي العرب بالإسلام إذا سمعناهم أو رأيناهم يدعون الله مخلصين له الدين في السفينة على ظهر السفينة، وقد علمنا ما اشتهر عنهم من الشرك في البَرِّ؟؟ وهل هذا يعتبر صدقاً منّا في اتباع الحق أم مجادلةً بالباطل وتحريفاً للكلم عن مواضعه، أو قُل ورعاً فاسداً لمن يخاف[1] من تكفير قوم رآهم يدعون الله مخلصين له الدين؟؟

وماذا سيكون حكم رسول الله ﷺ على شخص يحكم لمشركي قريش بالإسلام، بحجّة أنه رآهم يخلصون لله في الدعاء، ويقول إذا رأيت أحدهم يشرك في البَرِّ فسوف أُكفّره، أمّا ظاهرهم أمامي الآن أنهم مخلصون مسلمون أخوة لي في الله، أو قال أمّا بالعموم فهم مشركين أمّا أحدهم بعينه فلا أُكفّره وهو يخلص في الدعاء لله على ظهر السفينة. فماذا سيكون حكم هذا الشخص عند رسول الله ﷺ والصحابة رضي الله عنهم ؟؟.

---

(١) وكم دخل الشيطان اللعين على بني آدم من هذا الباب لإغوائهم.. فما عبدت الأصنام في قريش زلفى إلاّ تورعاً وخوفاً من عدم قبول الدعوة، وما طافوا بالبيت عرايا إلاّ خوفاً وورعاً في ملاقاة الله بثيابهم النجسة، وقد كاد الشيطان أن يلبس عليهم أمر أكل الميتة وأنها أحلّ من المذبوحة بالسكاكين البشرية النجسة ويخوفهم من حرمتها حتى نزل قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١]. فالحذر الحذر من طاعة الشيطان في الورع الفاسد ويحسب الإنسان إنه يحسن صنعاً، والله المستعان.

٢-اليهود في المدينة أيام رسول الله ﷺ كانوا يقولون (لا إله إلاّ الله) ولكن اشْتُهر وعلم من حالهم أنهم[(١)] كانوا لا يُقرّون بأن محمداً رسولُ الله، مع أنّهم كانوا يعرفونه بأوصافه كما يعرفون أبنائهم، وقد عرفوه حتى وهو صغير مع عمّه في رحلة الشام، ولكن أنكروه حسداً وعِناداً وتكبّراً لأنه لم يكن منهم، وقد كانوا يتوقعون أن الرسول سيكون حتماً منهم لأنهم هم أهل التدين والعلم وحفظة كتاب الله، ومعظم الرسل كانوا منهم، وقد كانوا يبشرّون الأَوْسَ والخَزْرَجَ بأنه سيُبعث نبي وسيتبعونه...

والسؤال هنا: هل يمكن الحكم على يهودي في المدينة بالإسلام إذا سمعناه يقول (لا إله إلا الله) ونحتج بحديث رسول الله ﷺ " أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماؤهم وأموالهم إلاّ بحقها وحسابهم على الله "[(٢)].

وحديث أسامة ﷺ حينما عاتبه رسول الله ﷺ على قتل من قال لا له إلاّ الله، وقال له "أشققت عن قلبه"[(٣)]. ونحوها من الأحاديث التي تتضمن أن من قال لا إله إلاّ الله فهو مسلم؟؟ وهل يعتبر ذلك صِدْقاً منّا في اتباع الحق أم تلاعباً ومجادلةً بالباطل وتحريفاً للكلام عن مواضعه؟

وماذا سيكون حكم رسول الله ﷺ والصحابة على شخصٍ يحكم على اليهود في المدينة بالإسلام لأنهم يقولون لا إله إلاّ الله، فإذا فعل أحدهم كفراً أمامي أُكَفِّرُه؟؟ أو يقول هم عندي كفارٌ بالعموم، أمّا اليهودي بعينه لا أُكَفِّرُه إذا سمعته يقول لا إله إلا الله؟؟

أو يقول أن الأحاديث في الحكم بالإسلام لمن يقول لا إله إلاّ الله قطعية، وأما اشتهار اليهود بأنهم يقولونها وينكرون رسالة محمد ﷺ فهو ظني، لأن هناك طائفة من اليهود قد أسلموا، وأنا أتمسك بالقطعي وأطبق الأحاديث في الحكم بالإسلام على من يقول لا إله إلاّ الله، وعندي أن اليهود في المدينة مسلمون ماداموا

---

(١) يجادل البعض حين تذكر لهم يهود المدينة ومشركي العرب ومانعي الزكاة وأتباع مسيلمة.. وبما أشتُهر عنهم... وأن الشهادة غير معتبرة في حقّهم حتى تعرف رجوعهم عمّا تواتر عنهم من ناقض... لتنبهه بما يلزمه ويترتب عليه إطلاق حكمه على كل من ينطق بالشهادة أنه مسلم...!!

فيقول لك جدالاً: أنت تقول يهودي! أي علمت ما تواتر عنهم من التهود..!! ولكن ما تواتر عن أقوامنا من دين الشرك! لا يريد أن يقبله ولا ترغب نفسه في تسويتهم بما تواتر عن الطوائف المشركة من بني آدم الأخرى كاليهود مثلاً.. فعجباً!!.

(٢) رواه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه، حديث رقم (٢٧٨٦) ج٣ ص١٠٧٧، رقم (٦٥٢٦) ج٦ص٢٥٣٨، دار ابن كثير للنشر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧-١٩٨٧، تحقيق مصطفى ديب البغا. رواه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه، حديث رقم (٢٠)، ج١ص٥١، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. رواه الإمام النسائي رحمه الله في سننه الكبرى، حديث رقم (٣٤٣٧) ج٢ص٢٨٠، حديث رقم (٤٣٠١) ج٣ص٥، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ، الطبعة الأولى، تحقيق د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن. رواه الإمام البيهقي رحمه الله في سننه الكبرى، حديث رقم (١٦٥٠٨) ج٨ص١٧٦، حديث رقم (١٨٤٠٥) ج٩ص١٨٢، ط. مكتبة دار الباز، مكة المكرمة ١٤١٤، تحقيق محمد عبد القادر عطا. رواه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده، حديث رقم (١١٧) ج١ص١٩، ط. مؤسسة قرطبة، مصر.

(٣) رواه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه، حديث رقم (٤٠٢١) ج٤ ص١٥٥٥، دار ابن كثير للنشر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧-١٩٨٧، تحقيق مصطفى ديب البغا. رواه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه، حديث رقم (٩٦)، ج١ص٩٦، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. رواه الإمام النسائي رحمه الله في سننه الكبرى، حديث رقم (٨٥٩٤)، ج٥ص١٧٦، ط. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١، تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد كسوري حسن. رواه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده، حديث رقم (٢١٨٥٠) ج٥ص٢٠٧، ط. مؤسسة قرطبة، مصر. رواه الإمام أبو داود رحمه الله في سننه، حديث رقم (٢٦٤٣)، ج٣ص٤٤، ط. دار الفكر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. وسيأتي الحديث بتمامه عند ص ١٤.

يقولون لا إله إلاّ الله.. فما حُكْمُ رسول الله ﷺ على مثل هذا الشخص؟؟ وهل قال أحدٌ من أصحابه هذا القول وحَكَمَ بإسلام اليهود؟؟

ثم إن يهود العراق بعد وفاة رسول الله ﷺ واشتهار الرسالة المحمدية كانوا يقرون بأن محمداً رسول الله ولكن للعرب خاصّة وليس للناس كافّة.. فهل من سمعناه منهم يقول (لا إله إلاّ الله محمدٌ رسول الله) نحكم بإسلامه[1]، ونحتجّ بالأحاديث الواردة في الشهادتين وحديث اليهودي جار رسول الله ﷺ الذي شهد أن محمدا رسول الله ومات فشهد له رسول الله ﷺ بالإسلام وقال للصحابة "الحمد لله الذي أعتق بي نسمة من النار لُوا[2] أخاكم" ؟؟

٣–من الأحاديث الصحيحة الواردة عن رسول الله ﷺ أن من قال (لا إله إلاّ الله) فهو مُسْلِمٌ يَحرم دمه وماله وعرضه فلماذا لم يحكم بإسلام اليهود في المدينة مع أنّهم كانوا يقولونها، ويُحْكُم لمشركي قريش والعرب بالإسلام بِمُجرد قولها؟ وطلب من عمه حين احتضاره كلمة واحدة (لا إله إلاّ الله)، وطلب من جاره اليهودي المُحْتَضَر أن يشهد أنّه رسول الله؟

وحَاشاه صلوات الله وسلامه عليه أن يكون عنده معتقد القوميّة والوطنيّة، بل تبرأ منها ووصفها بأنها مُنْتِنَة. فما سبب هذا التفريق بين العرب واليهود إذاً ؟؟!!

ثم بعد وفاته ﷺ انتشر الإسلام وأَقَرّ اليهود بأن محمداً رسول الله، ومع هذا لم يَحكم لهم الصحابة والتابعون بالإسلام؟!

وحاشاهم ﷺ أن يروا رسول الله ﷺ يَحْكُم بإسلامِ جَارِه اليهودي المُحْتَضَر بمجرّد إقراره بأن محمداً رسول الله، بل حتى بالعتق من النار، ويغالوا هم ويشددوا فيكفّروا اليهود في زمنهم حتى بعدما يسمعونهم يقولون محمدٌ رسول الله، فما سبب عدم حُكْمِهم بإسلام اليهود في زمانهم مع قولهم لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله؟؟!!.

من المعلوم المشهور قطعاً أن أُناساً من العرب قد ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ، وكان سبب ردتهم هو منع إخراج الزكاة، متأولين في ذلك قول الله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[3]. وقالوا لأبي بكر ﷺ إن أخذ الزكاة كان مخاطباً به رسول الله ﷺ وليس مَن بعده، فلا يجوز لك أخذ الزكاة منّا..

(١) لمزيد الفهم في هذه المسألة عن اليهود يُراجع ما ذكره الإمام الشيباني في كتابه "السير الكبير".

(٢) لُوا أخاكم: أي تولوا أمره من التجهيز.

(٣) سورة التوبة: ١٠٣.

فامتنعوا عن دفعها، لكنّهم لم يتركوا أي شيءٍ آخر من دين الإسلام، فقد كانوا يقولون لا إله إلاّ الله محمدٌ رسول الله للناس كافّة، وَيَكْفُرُونَ بالطواغيت ويقاتلوهم في سبيل الله، ويَقْرَؤُونَ القرآن ويعتادون المساجد ويصلون ويصومون ويحجون.. ويفعلون سائر العبادات إلاّ إيتاء الزكاة.

والسؤال هنا: هل يمكننا الحكم بإسلام أحدهم إذا سمعناه يقول لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله أو يُؤَذِّنَ ويصلي ويتلوا القرآن ويُفْشِي السلام..؟؟

وهل حَكَمَ أحدٌ من الصحابة بإسلام هؤلاء محتجاً بقولهم لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله أو الآذان أو الصلاة وغيرها من الشعائر ــ غير الزكاة ــ أو محتجاً بالحوار الذي جرى بين عمر وأبوبكر ﵄ في (قتال) مانعي الزكاة[1]، وليس في حكمهم.

٤-مسيلمة الكذاب ظهر بعد وفاة رسول الله ﷺ مدّعياً أنه نبي وأن رسول الله ﷺ قد أخبره بذلك، وشهد على ذلك رجلين من أصحابه، فصدّقه قومه.. فَخَفَّفَ عليهم بعض العبادات وادّعى أنه يوحى إليه..

ومعلوم أن مسيلمة الكذاب وأتباعه لم يتركوا الدين الذي جاء به رسول الله ﷺ كُلَّهُ، بل كانوا يقولون لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله ويؤذنون ويصلون ويزكون ويصومون ويتلون القرآن ويفعلون كل العبادات ويؤمنون بكل المعتقدات التي جاء بها محمد ﷺ غير تصديقهم لنبوة مسيلمة وطاعته.. وقد اشتُهر عنهم ذلك (وهم أهل اليمامة في خلافة أبي بكر ﵁).

والسؤال هنا: هل يمكننا الحكم على شخص أو طائفةٍ منهم بالإسلام إذا رأيناهم يقولون لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله ويؤذنون ويصلون ويؤتون الزكاة.. ويعفون اللحى ويرفعون الإزار وتختمر نساؤهم، وعلمنا أنهم يكفّرون اليهود والنصارى ومشركي العرب ويقاتلوهم في سبيل الله.. تمسّكاً منّا بالأحاديث الصحيحة المطلقة التي وردت في ذلك؟؟

وماذا سيكون حُكْمُ أبي بكر الصديق والصحابة ﵃ في شخصٍ يَحكُم لهم بالإسلام وأهم إخوته في الله، مستدلاً بصلاتهم وقولهم لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله وحفظهم القرآن وجهادهم في سبيل الله..؟؟

---

(١) والذي يظهر والله أعلم أن عمر ﵁ كان متخوفاً من أن يقال أن أصحاب محمداً يقتلون بعضهم بعضا، كما أخبرهم به رسول الله ﷺ في عدم قتله للمنافقين في عهده حتى لا يقال أن محمداً يقتل أصحابه، فينفّر الناس من الدين.. وكان أبوبكر ﵁ يرى أن مانعي الزكاة يختلفون عن المنافقين لأنهم أظهروا الكفر، أما المنافق فيظهر الإسلام ويخفي الكفر.. ولهذا قال "والله لو منعوني عقالاً لقاتلتهم عليه".. فأين هذا من أقوامنا الذين نقضوا معظم الدين وبقت فيهم بعض الشعائر والمعتقدات من دين محمد ﷺ.. والله المستعان.

٥-الخوارج أخبر رسول الله ﷺ الصحابة عنهم أنهم قوم تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم، وأنهم يقرؤون القرآن، ويقولون لا إله إلاّ الله محمدٌ رسول الله ويؤتون الزكاة، ويكفّرون اليهود والنصارى، ومشركي العرب، ويكذّبون مسيلمة ويقاتلون في سبيل الله.

ويفعلون كل الشعائر والسنن.. ولكن اشتُهر عنهُم وعُلِم عنهم أنهم مبتدعة يكفّرون المسلمين بالكبائر والذنوب، ويُدخِلون كل الأعمال في مسمى الإيمان وأنه لا يزيد ولا ينقص.

والسؤال هنا: إذا رأينا أحدهم (أو طائفة منهم) يصلي في بكاء وخشوع، ويحفظ القرآن ويتلوه، ويجاهد في سبيل الله اليهود والنصارى والطغاة.. فهل سنعتقد أن إيمانه أكمل من الصحابة ﷺ وأنه ليس مبتدع؟؟

٦-طبيب في لجنة طبية عملها وضع تقرير عن حالة المرضى الصحية.. يُطلب منه الكشف عن عائلة اشتُهر عنها أنّ بها الإيدز والقلب والبواسير والثعلبة والشلل (عافانا الله وإيّاكم من كل أسقام الروح والجسد).

وبناءً على كشفه على العيون والأنف والأذن والحنجرة عندهم فوجدها سليمة.. فقرّر أن صحتهم ممتازة، وأنهم من الأصحاء..!!

والسؤال هنا: ماذا سيكون حُكْمُكَ على هذا الطبيب أو ماذا سيكون حُكم وزارة الصحة واللجنة الطبية على هذا الطبيب؟؟!! وهل ستُقبَل حجّته في نظره إلى سلامة الأنف والأذن والعيون ويعتبر صادقاً في تقريره الصحي أم متلاعباً؟؟

خلاصة: والمقصد من كل الأسئلة السابقة هو واقع أقوامنا المعاصرين وما يقتضيه حالهم، وقد أغلق الباب على نفسه من لا يريد أن يقارن قومه المشركين وما تواتر عنهم من نواقض بالملل الأخرى والطوائف من بني آدم.. فهذا ننصحه بالتجرّد ومراجعة نفسه وتخليصها من التعصّب، أمّا من فهم الكلام ومقاصده على حقيقته.. فليستمرّ في القراءة فإنّا حاولنا أن نُفصّل أكثر لمزيد الإيضاح بإذن الله.

فَمِمَّا لاشكّ فيه أن قومنا يقولون لا إله إلاّ الله محمدٌ رسول الله ويصلّون ويصومون ويحجّون ويؤتون الزكاة.. ولكن اشتُهر عنهم أيضاً وعُلِمَ من حالهم يقيناً لاشكّ فيه أنّهم يعبدون الأوثان (القبور)[1]، ويعتقدون فيها كل ما كانت قريش ومشركو العرب يعتقدون في أوثانهم وأصنامهم، بل أشد!.

ويتّخذون ملوكهم وحُكّامهم وعلمَائَهم أرباباً من دون الله، وذلك باتّباعهم وطاعتهم في تحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحلّ سبحانه ــ بالقوانين الوضعيّة الوضيعة والعادات والتقاليد الباطلة والأهواء الفاسدة ــ كما كان أهل الكتاب يفعلون مع رهبانهم وأحبارهم، وكما كان حال فرعون وجُنده وقومه، بل أشد!

والصور الظاهرة الواضحة جداً لأقوامنا هي الشرك إلاّ من رحم الله.. والذي معناه أن يُعبد الله ويطاع في بعض الدين، ويُعبد غيره سبحانه في البعض الآخر..

(١) جاء في دعاء رسول الله ﷺ: " اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد"، فسمى القبر الذي يُعبد من دون الله وثناً.

والشرك خلاف الإلحاد (عدم عبادة الله سبحانه بالكليّة)، وخلافه التوحيد والإخلاص (عبادة الله وحده في كل مجالات الحياة).

وهذه معلومة هامّة جداً، ومع بساطتها يقع الناسي لها في زلل عظيم وجدال بالباطل طويل وضلال..!!

حيث أن حُكْمَنَا على شخصٍ أو طائفةٍ بأنّهم مشركون لا ينفي أنهم يعبدون الله مخلصين له في بعض الدين.. فحينما يُشرك شخصٌ أو طائفةٌ في تحاكمه للطّاغوت وشرعه مثلاً سيكون جِدالاً بالباطلِ الاستدلال بصلاته على إسلامه واعتياده المسجد على إيمانه..

نعم لو كان الحُكم بأنّه مُلحد واحتجّ على عدم إلحاده برؤيته يصلي أو يفعل أي فعل لله، يكون للمقال مقام واعتبار.

والسؤال المهم هنا: ما حُكم من يَحْكُم على المشرك بالإسلام وما يَلزمه.. لمجرّد أنّه رآه يقول أو يفعل بعض الشعائر من بقايا دين محمد ﷺ المعلوم يقيناً وقطعاً أن القوم لم يشركوا فيها بعد؟؟.

حكمه الواضح والله أعلم بأنه ضالّ مضل!!.

وسبب ضلاله إمَّا لأنّ الشيطان اللعين يدخل به في متاهات الورع الفاسد وتخويفه بما لا خوف منه[1].. وإمَّا لاتّباعه هواه واغتراره بكثرةِ الهالكين وَدِعايَاتِهم وقلّة أهل الحق واستضعافهم.

مضلٌّ لغيره؛ حيث سَيُلْزِمُهُ اعتقاده بأنّ من يفعل الشعائر من القوم فهو مسلم.. أن يؤَاخيه ويصلي خلفه.

ويفعل معه كل الحقوق المتوجّبة للمسلم على المسلم ولا يعاديه ولا يبغضه ولو كان من أطغى الناس!! وبمثل هذا يطمئن المشرك على شركه وأن دينه بخير مادام مثل هؤلاء يَحْكُمُون له بالإسلام ويصلّون خلفه ويوادّونه في الله، فيزداد ضلالاً على ضلاله.

ويلزم من هذا المعتقد الباطل:

- أن قريشاً ومشركي العرب إذا ركبوا الفلك وحين يخلصون في الدعاء[2] مسلمون!.

---

(١) وهي من أوسع أبواب الشيطان ومداخله لإغواء بني آدم.. ويدخل من هذا الباب حتى في وسوسة الوضوء والصلاة وغيرها.. وقد قال أحدهم مرّة "إني أدخل المسجد للصلاة ويغلب على ظني أن كل المصلين من حولي مشركين ولكني لم أراهم يفعلون الشرك فهم عندي مسلمين بصلاتهم الآن".. وقد نسي هذا أنّ القوم ليسوا ملحدين! والمشرك قد يعمل لله في بعض الدين.. ولهذا حكمه أنه أشرك.. وأنه قد زلّ وضلّ بإهماله ما تواتر عن القوم من ناقض في الحاكميّة وعبادة القبور والولاء.... فإن قال: أخاف أن يكون أحدهم مسلما؟؟! قلنا هذا الخوف لا يجعلك تهمل ما تواتر عنهم من نواقض واشتُهر.. وتتمسك باعتبار هذه الشعيرة (المشتركة) في حقهم!.

لمزيد العلم يرجى مراجعة ما ذكره الإمام ابن القيّم في "إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان" والتفسير القيّم – سورة الناس– .. وكذلك كتاب "تلبيس إبليس" لابن الجوزي.

(٢) فقد أخبرنا الله تعالى عنهم أنهم يدعونه قائلين: ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال: ٣٢]. ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ٥٣-٥٤]. ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ١٩]. قال الإمام النيسابوري: [كان المستفتح أبا جهل، فإنه قال حين التقى القوم يوم بدر "اللهم أينا كان أقطع للرحم وأتى بما لا يعرف فأحنه الغداة، وكان ذلك استفتاحاً، فأنزل الله: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾].. أخرج ابن أبي حاتم عن عطية قال: [قال أبو جهل: اللهم أنصر أعز الفئتين وأكرم الفئتين، فنزلت] أسباب النزول.. إذاً فقد علمنا أن أبي جهل وأمثاله كانوا يدعون الله مخلصين له الدين في بعض الأحيان.. فهل نحكم لهم بالإسلام حينها؟؟!!.

- اليهود في الماضي والحاضر مسلمون!.
- مانعي الزكاة وأتباع مسيلمة مسلمون!.

ونحن نعلم أن المخالف لا يعتقد أنّ قريشاً واليهود وأتباع مسيلمة مسلمون.. ولكن معتقده الباطل يُلزِمُـــهُ ذلك..

فإمّا أن يُقرّ بأنّهم مسلمون لِيُسَلِّمَ ما اعتقده.. وإِمَّا أن يرجع إلى الحقّ والصوابِ فيفوزَ برضى الرحمن قبـــل فوات الأوان.. فإن الرجوع للحقّ فضيلةٌ ومنقبةٌ عظيمة.. يبغضها الشيطان ويوسوس للنفس أنها إن رجعـــت للحق اعْتُبرت جاهلة وتسقط قيمتها وثقتها عند الناس!

ولكن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾[1].

والله يهدي من يشاء إلى الصراط المستقيم .

.. انتهى المبحث الأول ..

(١) سورة البقرة: ٢٢٢.

المبحث الثاني:–

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى من اتّبع هديه ووالاه...

أمّا بعد..

فبعد أن طرحنا بعض الأسئلة والأمثلة في المبحث الأول، إليك الآن أقوال العلماء وشرح الأحاديث التي ذُكرت فيها الشهادتان والشعائر الأخرى كالصلاة. وفي حق من تكون قرينة على الإسلام، ومتى لا تعتبر..

والله الموفق لما فيه الخير والفلاح يهدي من يشاء إلى الصراط المستقيم.

نعوذ بالله من مُضلاّت الفتن ومن محبطات العمل ومن سوء الفهم والقصد..

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: [اعلم يرحمُك الله تعالى أنّ أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[١].

فأمّا صفة الكفر بالطاغوت: أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها، وتكفّر أهلها وتعاديهم.

وأما معنى الإيمان بالله: أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون ما سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتُحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتُبغض أهل الشرك وتُعاديهم..

وهذه ملّة إبراهيم التي سفه من رغب عنها..

وهذه هي الأسوة الحسنة التي أخبر الله بها في قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾[٢].

والطاغوت: عامٌّ في كل ما عبد من دون الله، ورضي بالعبادة؛ فهو طاغوت، من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاعٍ في غير طاعة الله ورسوله.

واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمناً بالله إلاّ بالكفر بالطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٣].

---

(١) سورة النحل: ٣٦.

(٢) سورة الممتحنة: ٤.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٦.

والعروة الوثقى: شهادة أن لا إله إلاّ الله.. وهى متضمنة للنفي والإثبات – تنفى جميع أنواع العبادة عن غير الله [لا إله]، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له [إلاّ الله]](١).

وفي موضع آخر من مجموعة التوحيد يقول الإمام: [بل ملّة إبراهيم هي الكفر بالطاغوت [لا إله]، والإيمان بالله [إلاّ الله]] ا.هـــ .

شبهـــة :

قد يقول قائل أن الناس اليوم يقولون: (لا إله إلاّ الله محمدٌ رسول الله) ويُـــصلّون ويـــصومون ويفعلـــون الخيرات، فتكون هذه الأمور دلالة وقرينة على إسلامهم.. ويستدلّون على ذلك بالأحاديث المطلقة التي وردت في قول لا إله إلاّ الله، والآذان والصلاة، وإلقاء السلام..؟؟!!

فهل هذا هو الحق في اعتبار القرائن؟؟ وهل هكذا كان واقع هذه الأحاديث الشريفة.. وهل هكذا كـــان شرح العلماء لهذه الأحاديث؟؟؟

لنلقي لمحة سريعة على هذا الموضوع. يستطيع من خلالها أي قارئ منصف وراغـــب في معرفـــة الحـــق أن يتوصل للحق في هذه المسألة بكل سهولة.. وأمّا من أخذه الغرور والعجب، وغرّته كثـــرة الهـــالكين وقلّـــة السالكين... فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وإليك كلام العلماء مفصلاً حول هذه الشبهة:

شرح حديث: "أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلاّ الله فقد عصم منّي ماله ونفسه إلاّ بحقها وحسابه على الله"(٢).

قال الإمام النووي رحمه الله عند شرحه لصحيح مسلم:

[قال الإمام الخطابي رحمه الله: معلوم أن المراد بهذا أهل الأوثان دون أهل الكتاب، لأنهم يقولون: لا إله إلاّ الله ثم يُقَاتلون ولا يُرفع عنهم السيف....

وقال القاضي عياض رحمه الله: [اختصاص عصمة المال والنفس بمن قال: "لا إلـــه إلاّ الله" تعـــبير عـــن الإجابة إلى الإيمان، وأنّ المراد بهذا مشركوا العرب وأهل الأوثان ومن لا يوحد، وهم كانوا أوّل من دُعي إلى الإسلام وقُوتلوا عليه..

فأمّا غيرهم ممن يقرّ بالتوحيد فلا يكتفي في عصمته بقوله: لا إله إلاّ الله، إذا كان يقولها في كفره وهى من اعتقاده.. فلذلك جاء في الحديث الآخر:"وأني رسول الله ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة "].

---

(١) الرسالة السادسة من مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان للشيخ محمد بن عبد الوهاب، تحقيق إسماعيل بن محمد الأنصاري، نشر جامعة محمد بن سعود، ص ٣٧٦.
(٢) سبق تخريجه عند ص ٦.

ثم يقول الإمام النووي: [قلت: ولابدّ مع هذا من الإيمان بجميع ما جاء به رسول الله ﷺ، كما جاء في الرواية الأخرى لأبي هريرة:"حتى يشهدوا أنّ لا إله إلاّ الله، ويؤمنوا بي وبما جِئْتُ به".والله أعلم](١).

وقال الإمام ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري: [أنّ الكافر إذا كان وثنياً أو ثَنويّاً لا يقرّ بالوحدانية، فإذا قال لا إله إلاّ الله حكم بإسلامه ثم يجبر على قبول جميع أحكام الإسلام ويبرأ من كل دين يخالف دين الإسلام.

أمَّا من كان مقراً بالوحدانية – منكراً للنبوة – فإنه لا يحكم بإسلامه حتى يقول محمدٌ رسول الله، فإن كان يعتقد أن الرسالة المحمدية للعرب خاصّة فلابد أن يقول: إلى جميع الخلق.. فإن كان كفر بجحود واجب واستباحة محرّم فيحتاج أن يرجع عمّا اعتقده](٢) ا.هـ.

شرح حديث أسامة ﷺ: عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه قال: "بعثنا رسول الله ﷺ إلى أُناس من جهينة يقال لهم الحُرُقَات(٣)، قال: فأتيت على رجل منهم فذهبت أطعنه فقال: لا إله إلاّ الله فطعنته فَقتلتُه، فجئت إلى النبي ﷺ فأخبرته بذلك فقال: "قتلته وقد شهد أن لا إله إلا الله؟ قلت يا رسول الله إنما فعل ذلك تعوذاً، قال: "فهلاَّ شققت عن قلبه"(٤).

أورد الإمام البغوي هذا الحديث بمصنفه القيّم شرح السنّة في الجزء العاشر تحت عنوان "تحريم قتله إذا أسلم على أي دين كان"، فقال رحمه الله: [هذا حديث متفق على صحته.. وفيه دليل على أن الكافر إذا تكلّم بالتوحيد وجب الكف عن قتله.

وقال الإمام: وهذا في الوثني الذي لا يعتقد التوحيد إذا أتى بكلمة التوحيد يحكم بإسلامه ثم يجبر على سائر شرائط الإسلام..

فأما من يعتقد التوحيد لكنّه ينكر الرسالة فلا يحكم بإسلامه بمجرد كلمة التوحيد حتى يقول: محمدٌ رسول الله، فإذا قالها كان مسلماً، إلاّ أن يكون من الذين يقولون محمدٌ مبعوث للعرب خاصّة فحينئذ لا يحكم بإسلامه بمجرد الإقرار بالرسالة حتى يُقرّ أنه مبعوث إلى كافّة الخلق، ثم يُستحب أن يُمتحن بالإقرار بالبعث والتبرؤ من كل دين يخالف الإسلام، وكذلك المرتد يعود إلى الإسلام عن الدين الذي انتقل إليه](٥) ا.هـ .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، للإمام النووي، نشر المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ، ج١، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله محمداً رسول الله، ص٢٠٧.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر، تحقيق عبد القادر شيبة الحمد، نشر مكتبة فهد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ج١٢، باب من أبى قبول الفرائض وما نُسِبُوا إلى الرِّدَة، ص٢٩٢.

(٣) الحُرقات: جمع حرقة وهي الأرض الحامية لا شجر فيها ولا نبات، وهي أيضاً مواضع قريبة من مساكن جهينة.

(٤) سبق تخريجه عن ص ٦.

(٥) شرح السنة للإمام البغوي، تحقيق محمد الشاويش و شعيب الأرناؤوط، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٤م، ج١٠، ص٢٤١-٢٤٣.

شرح حديث رسول الله ﷺ : "من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عزّ وجل"[(١)].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: [هذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلاّ الله، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلاّ الله وحده لا شريك له بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شكّ أو توقف لم يحرم ماله ودمه][(٢)] ا.هـ .

وقال صاحب كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد في تعليق على هذا الحديث الشريف: [قوله: "من قال لا إله إلاّ الله وكفر بما يعبد من دون الله"، اعلم أن النبي ﷺ علّق عصمة المال والدم في هذا الحديث بأمرين:

الأول: قول لا إله إلاّ الله عن علم ويقين كما هو قيد في قولها في غير ما حديث كما تقدم.

والثاني: الكفر بما يعبد من دون الله فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى بل لا بد من قولها والعمل بها.

قلت: وفيه معنى ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾][(٣)] ا.هـ .

وقال: [قلت: أفاد الحديث أن الإنسان قد يقول لا إله إلاّ الله ولا يكفر بما يعبد من دون الله فلم يأت بما يعصم دمه وماله كما دلتّ عليه الآيات المحكمات والأحاديث][(٤)] ا.هـ .

وعن النطق بالشهادتين يقول رحمه الله تعالى: [قوله (من شهد أن لا إله إلاّ الله) أي من تكلّم بها عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها باطناً وظاهراً، فلا بد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها كما قال الله تعالى:

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[(٦)].

أمّا النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه من البراءة من الشرك و إخلاص القول والعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح فغير نافع بالإجماع].

---

(١) رواه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه، حديث رقم (٢٣)، ج١ص٥٣، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. رواه الإمام الطبراني رحمه الله في المعجم الكبير، حديث رقم (٨١٩٠)، ج٨ص٣١٨، ط. مكتبة الزهراء، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي. رواه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده، حديث رقم (٢٧٢٥٥-٢٧٢٥٦) ج٦ص٢٩٤، حديث رقم (١٥٩١٥) ج٣ص٤٧٢، ط. مؤسسة قرطبة، مصر. رواه الإمام ابن حبان رحمه الله في صحيحه (بترتيب ابن بلبان)، حديث رقم (١٧١) ج١ص٣٩٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤، تحقيق شعيب الأرناؤوط. رواه الإمام البزّار رحمه الله في مسنده، حديث رقم (٢٧٦٨)، ج٧ص١٩٩، ط. مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى ١٤٠٩، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله.

(٢) كتاب التوحيد للشيخ محمد ابن عبد الوهاب، تحقيق محمد بلتاجي ومحمد حجاب، مطابع الرياض، الطبعة الأولى، ص ٢٦.

(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق محمد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، الطبعة السابعة ١٩٥٧م ،ص١١١.

(٤) المصدر السابق، ص ١١٣.

(٥) سورة محمد: ١٩.

(٦) سورة الزخرف: ٨٦.

شرح حديث ابن عمر في الصحيحين، قال: قال رسول الله ﷺ: "أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاّ بحقها وحسابهم على الله"[(١)].

قال الإمام البغوي رحمه الله: [هذا حديث متفق على صحته. وقوله "حتى يقولوا لا إله إلاّ الله" أراد به عبدة الأوثان دون أهل الكتاب لأنهم يقولون لا إله إلاّ الله ثم لا يُرفع عنهم السيف حتى يُقرّوا بنبوة محمد ﷺ أو يعطوا الجزية][(٢)] ا.هـ .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله: [وأمّا قول الإنسان لا إله إلاّ الله من غير معرفة لمعناها ولا عمل به، أو دعواه أنّه من أهل التوحيد وهو لا يعرف التوحيد بل ربما يُخلص لغير الله من عبادته من الدعاء والخوف والذبح والنذر والتوبة والإنابة وغير ذلك من أنواع العبادات فلا يكفي في التوحيد، بل لا يكون إلاّ مشركا والحالة هذه][(٣)].

يقول الفقيه الكاساني الحنفي رحمه الله :[الطرق التي يحكم بها بِكون الشخص مؤمناً ثلاثة: نص، ودلالة، وتبعيّة.

أما النص: فهو أن يأتي بالشهادة أو بالشهادتين أو يأتي بهما، مع التبرؤ مما هو عليه صريحاً.

وبيان هذه الجملة أن الكفرة أصناف أربعة:

١- صنف منهم ينكرون الصانع (الله) أصلاً، وهم الدهريّة المُعَطِّلة.

٢- وصنف منهم يقرّون بالصانع وينكرون توحيده، وهم الوثنية والمجوس.

٣- وصنف منهم يقرّون بالصانع وتوحيده، وينكرون الرسالة رأساً، وهم قومٌ من الفلاسفة....

٤- وصنف منهم يقرّون بالصانع وتوحيده والرسالة في الجملة، لكنّهم ينكرون رسالة محمد ﷺ وهم اليهود والنصارى.

فإن كان من الصنف الأول والثاني فقال: (لا إله إلا الله) يحكم بإسلامه، لأن هؤلاء يمتنعون عن الشهادة أصلاً.. فإذا أقرّوا بها كان ذلك دليل إيمانهم، وكذلك إذا قال: (أشهد أن محمداً رسول الله) لأنهم يمتنعون من كل واحدة من كلمتي الشهادة، فكان الإتيان بواحدة منهما أيتهما كانت دلالة الإيمان.

---

(١) رواه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه، حديث رقم (٢٢)، ج١ص٥٣، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. رواه الإمام البيهقي رحمه الله ي سننه الكبرى، حديث رقم (٤٩٢٠) ج٣ص٩٢، ط. مكتبة دار الباز، مكة المكرمة ١٤١٤، تحقيق محمد عبد القادر عطا. رواه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه، حديث رقم (٢٥) ج١ ص١٧، دار ابن كثير للنشر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧-١٩٨٧، تحقيق مصطفى ديب البغا. رواه الإمام ابن حبان رحمه الله في صحيحه (بترتيب ابن بلبان)، حديث رقم (٢١٩) ج١ص٤٥٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤، تحقيق شعيب الأرناؤوط.

(٢) شرح السنة للإمام البغوي، تحقيق محمد الشاويش و شعيب الأرناؤوط، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٤م، ج١، باب البيعة على الإسلام، ص٦٦.

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله، تحقيق زهير الشاويش، طبعة المكتب الإسلامي،بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣، ص١١٠.

وإن كان من الصنف الثالث فقال: (لا إله إلاّ الله) لا يحكم بإسلامه، لأن منكر الرسالة لا يمتنع عن هذه المقالة، ولو قال: (أشهد أن محمداً رسول الله) يحكم بإسلامه، لأنه يمتنع عن هذه الشهادة، فكان الإقرار بها دليل الإيمان.

وإن كان من الصنف الرابع فأتى بالشهادتين فقال:(لا إله إلاّ الله محمدٌ رسول الله)، لا يحكم بإسلامه حتى يتبرأ من الدين الذي عليه من اليهودية أو النصرانية.. لأن من هؤلاء من يقرّ برسالة رسول الله محمد ﷺ، لكنه يقول: إنه بُعث إلى العرب خاصّة دون غيرهم، فلا يكون إتيانه بالشهادتين بدون التبرؤِ دليلاً على إيمانه، وكذا إذا قال يهودي أو نصراني: أنا مؤمن أو مسلم، أو قال: آمنت أو أسلمت، لا يحكم بإسلامه؛ لأنهم يدّعون أنهم مؤمنون ومسلمون، والإيمان والإسلام هو الذي هم عليه.

ولو قال يهودي أو نصراني: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأتبرأ من اليهودية أو النصرانية، لا يحكم بإسلامه، لأنهم لا يمتنعون عن كلمة التوحيد، والتبرؤ من اليهودية والنصرانية لا يكون دليل الدخول في دين الإسلام، لاحتمال أنه تبرأ من ذلك ودخل في دين آخر سوى دين الإسلام، فلا يصلح التبرؤ دليل الإيمان مع الاحتمال، ولو أقرّ مع ذلك فقال: دخلت في دين الإسلام أو في دين محمد ﷺ، حكم بالإسلام لزوال الاحتمال بهذه القرينة، والله سبحانه وتعالى أعلم][1].

ويقول محمد بن حسن الشيباني صاحب أبي حنيفة – رحمهما الله:-

[باب الإسلام: ذكر عن الحسن ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دمائهم وأموالهم إلاّ بحقها، وحسابهم على الله".

قال: فكان رسول الله ﷺ يقاتل عبدة الأوثان، وهم قوم لا يوحدون الله، فمن قال منهم: لا إله إلاّ الله كان ذلك دليلاً على إسلامه.

والحاصل أنه يحكم بإسلامه إذا أقرّ بخلاف ما كان معلوماً من اعتقاده، لأنه لا طريق إلى الوقوف على حقيقة الاعتقاد لنا.

فنستدل بما نسمع من إقراره على اعتقاده؛ فإذا أقرّ بخلاف ما هو معلوم من اعتقاده استدللنا على أنّه بدّل اعتقاده.. وعبدة الأوثان كانوا يقرّون بالله تعالى؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[2] ، ولكن كانوا لا يقرّون بالوحدانية، قال الله تعالى: ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[3]، وقال فيما أخبر عنهم: ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[4].

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للإمام علاء الدين أبي بكر الكاساني الحنفي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٤م، ج٧، ص١٠٢-١٠٣.

(٢) سورة الزخرف: ٨٧.

(٣) سورة الصافات: ٣٥.

(٤) سورة ص: ٥.

فمن قال منهم: "لا إله إلاّ الله" فقد أقرّ بما هو مخالف لاعتقاده، فلهذا جعل ذلك دليل إيمانهم، فقال: "أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله". ويقول الشيباني رحمه الله: وعلى هذا المَانَوِيَّةُ وكل من يدعي إلهين؛ إذا قال واحد منهم: "لا إله إلاّ الله"، فذلك دليل إسلامه.

فأما اليهود والنصارى فهم يقولون: لا إله إلاّ الله، فلا تكون هذه الكلمة دليل إسلامهم. وهم في عهد رسول الله ﷺ كانوا لا يقرّون برسالته، فكان دليل الإسلام في حقهم الإقرار بأن محمداً رسول الله؛ على ما روى عنه ﷺ أنه دخل على جاره اليهودي يعوده، فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأني رسول الله، فنظر الرجل إلى أبيه فقال له: أجب أبا القاسم، فشهد بذلك ومات ، فقال ﷺ: " الحمد لله الذي أعتق بي نسمة من النار" ثم قال لأصحابه :" لُوا أخاكم".

وأما اليهود ببلاد العراق فإنهم يشهدون أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، ولكنّهم يزعمون أنه رسول إلى العرب لا إلى بني إسرائيل، ويتمسكون بظاهر قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[(١)].

فمن يقرّ منهم بأن محمداً رسول الله لا يكون مسلماً حتى يتبرأ من دينه مع ذلك، أو يقرّ بأنه دخل في الإسلام، حتى إذا قال اليهودي أو النصراني: أنا مسلم أو أسلمت لا يُحكم بإسلامه، لأنهم يَدّعُون ذلك، فإن المسلم هو المستسلم للحق المنقاد إليه، وهم يزعمون أن الحقّ ما هم عليه، فلا يكون مطلق هذا اللفظ في حقّهم دليل الإسلام حتى يتبرأ من دينه مع ذلك..

ولو قال المجوسي: أسلمت أو أنا مسلم، يحكم بإسلامه، لأنّهم لا يَدّعُون هذا الوصف لأنفسهم ويَعُدّونه شتيمة، يشتم الواحد منهم بها ولده، فيكون ذلك دليل الإسلام في حقه][(٢)] ا.هـ.

ونقل الإمام الشوكاني، قول الإمام البغوي – رحمهما الله – عند الكلام على حديث "أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله"

[قال البغوي: الكافر إذا كان وثنياً أو ثَنَوياً لا يُقرُّ بالوحدانية، فإذا قال: لا إله إلاّ الله حُكم بإسلامه، ثم يُجبَر على قبول جميع الأحكام، ويتبرأ من كل دين خالف الإسلام. وأما من كان مُقراً بالوحدانية منكراً للنبوّة فأنه لا يحكم بإسلامه حتى يقول محمدٌ رسول الله، فإن كان يعتقد أنّ الرسالة المحمدية إلى العرب خاصّة، فلا بُدّ أن يقول إلى جميع الخلق. فإن كان كفره بجحود واجب أو استباحة محرّم، فيحتاج إلى أن يَرجِعَ عن اعتقاده][(٣)] ا.هـ .

ويقول الإمام ابن قدامة المقدسي في كتابه المغني مُوضحاً كيف يُحكم بإسلام الأفراد، شارحاً كلام الإمام الخِرَقِيِّ حين قال :

---

(١) سورة الجمعة: ٢.

(٢) شرح كتاب السير الكبير للإمام محمد بن حسن الشيباني بإملاء الإمام محمد السرخسي، تحقيق أبي عبد الله حسن الشافعي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى١٤١٧هـ،ج١، ص ١٠٦.

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار للإمام محمد بن علي الشوكاني، منشورات شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ج٧، باب ما يصير به الكافر مسلماً، ص٢٢٥.

[ومن شهد عليه بالرّدّة فقال ما كفرت، فإن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لم يكشف عن شيء]..

ثم يشرح الإمام ابن قدامة هذا الكلام فيقول: [وكلام الخِرَقِيِّ محمول على من كفر بجحد الوحدانية أو بجحد رسالة محمد ﷺ أو جحدهما معاً، فأمّا من كفر بغير هذا لا يحصل إسلامه إلاّ بالإقرار بما جحده، ومن أقرّ برسالة محمد ﷺ وأنكر كونه مبعوثاً للعالمين، لا يَثْبُتُ إسلامه حتى يشهد أن محمداً رسول الله إلى الخلق أجمعين، أو يتبرأ مع الشهادتين من كل دين يخالف الإسلام، وإن زعم أن محمداً رسول بعد غير هذا، لزمه الإقرار بأن هذا المبعوث هو رسول الله، لأنه إذا اقتصر على الشهادتين احتمل أنه أراد ما اعتقده، وإن ارتدّ بجحود فرض لم يسلم حتى يقرّ بما جحده، ويعيد الشهادتين لأنه كَذّب الله ورسوله بما اعتقده.. وكذلك إن جحد نبياً أو آية من كتاب الله تعالى أو كتاباً من كتبه أو مَلَكاً من ملائكته الذين ثبت أنهم ملائكة الله، أو استباح محرماً فلا بُدّ في إسلامه من الإقرار بما جحد. وأمّا الكافر بجحد الدين من أصله إذا شهد أنّ محمداً رسول الله واقتصر على ذلك ففيه روايتان..

أحداهما يحكم بإسلامه، لأنه لا يُقرُّ برسالة محمد ﷺ إلاّ وهو مقر بمن أرسله وبتوحيده، لأنه صدّق النبي ﷺ فيما جاء به، وقد جاء بتوحيده.

الثاني أنه إن كان مقراً بالتوحيد كاليهود، حُكِم بإسلامه لأن توحيد الله ثابتٌ في حقّه، وقد ضمّ إليه الإقرار برسالة محمد ﷺ، فَكَمُل إسلامه.. وإن كان غير موحد كالنصارى والمجوس والوثنيين، لم يحكم بإسلامه حتى يشهد أن لا إله إلاّ الله..

وبهذا جاءت أكثر الإخبار وهو الصحيح، لأن من جحد شيئين لا يزول جحدهما إلاّ بإقراره بهما جميعاً.. وإن قال أشهد أن النبي رسول الله لم نَحْكُم بإسلامه لأنه يحتمل أن يريد غير نبينا.. وإن قال أنا مؤمن أو أنا مسلم. فقال القاضي: يُحْكَمُ بإسلامه بهذا، وإن لم يلفظ بالشهادتين؛ لأنهما اسمان لشيءٍ معلومٍ معروفٍ وهو الشهادتان، فإذا أخبر عن نفسه بما تضمنت كان مُخبراً بهما.

ويُحْتَمَلُ أنّ هذا في الكافر الأصلي أو من جحد الوحدانية. أمّا من كفر بجحد نبيٍ أو كتابٍ أو فريضةٍ ونحوها فلا يصير مسلماً بذلك، لأنه ربما اعتقد أن الإسلام ما هو عليه، فإن أهل البدع كلهم يعتقدون أنهم هم المسلمون ومنهم من هو كافر][(١)] ا.هـ .

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: [وقد أجمع العلماء على أن من قال لا إله إلاّ الله و لم يعتقد معناها و لم يعمل بمقتضاها أنّه يقاتل حتى يعمل بما دلّت عليه من النفي والإثبات][(٢)] ا.هـ .

---

(١) المغني للإمام ابن قدامة المقدسي، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي و د. عبد الفتاح محمد الحلو، منشورات دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ، ج١٢، ص٢٨٨.

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق محمد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، الطبعة السابعة ١٩٥٧م، ص١١٢.

وقد قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله سبعة أدلّة على تكفير بعض البدو في زمانه رغم إتّيانهم ببعض شعائر الإسلام، منها:

[الدليل السادس: قصة بنى عبيد القدّاح؛ فإنهم ظهروا على رأس المئة الثالثة، فادّعى عبيد الله أنه من آل على بن أبي طالب من ذرية فاطمة، وتزيّ بزيّ أهل الطاعة والجهاد في سبيل الله، فتبعه أقوام من البربر من أهل المغرب، وصار له دولة كبيرة ولأولاده من بعده، ثم ملكوا مصر والشام، وأظهروا شرائع الإسلام، وأقاموا الجمعة والجماعة، ونصبوا القضاء والمفتين.. لكن أظهروا الشرك ومخالفة الشريعة، وظهر منهم ما يدلّ على نفاقهم وشدّة كُفرهم، فأجمع أهل العِلم أنّهم كفّار، وأنّ دارهم دار حرب، مع إظهار شعائر الإسلام، وفى مصر من العلماء والعبّاد أناس كثير، وأكثر أهل مصر لم يدخل معهم فيما أحدثوا من الكُفر، ومع ذلك؛ أجمع العلماء على ما ذكرناه،...

الدليل السابع: قصة التّتار؛ وذلك أنهم بعد ما فعلوا بالمسلمين ما فعلوا، وسكنوا بلاد المسلمين، وعرفوا دين الإسلام، استحسنوه وأسلموا، لكن لم يعملوا بما يجب عليهم من شرائعه، وأظهروا أشياء من الخروج عن الشريعة، لكنّهم كانوا يتلفظون بالشهادتين، ويصلّون الصلوات الخمس والجمعة والجماعة، وليسوا كالبدو، ومع هذا كفّرهم العلماء، وقاتلوهم وغزوهم، حتى أزالهم الله عن بلدان المسلمين.. وفيما ذكرنا كِفَاية لمن هداه الله، وأمّا من أراد الله فتنته: فلو تناطحت الجبال بين يديه لم ينفعه ذلك][1] ا.هـ.

وفى ردوده على بعض الشبهات التي يثيرها بعض مرضى القلوب ويتّبعها من في قلبه زيغ ابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل والتحريف يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب: [فمعلومٌ أنّ التوحيد هو أعظمُ فريضة جاء بها النبي ﷺ وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصيام والحج.. فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كَفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ؟ وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يَكْفُر؟!! سبحان الله ما أعجب هذا الجهل.

ويقال أيضاً: "هؤلاء أصحاب الرسول ﷺ، قاتلوا بنى حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله، ويؤذنون ويصلون...

فإن قال: إنهم يقولون إن مسيلمة نبي.

قلنا: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة نبي كفر وحُلّ ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابياً أو نبياً في رتبة جبّار السماوات والأرض؟ سبحان الله ما أعظم شأنه! ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

(١) مختصر سيرة الرسول ﷺ للإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مراجعة مجموعة من الأساتذة بجامعة محمد ابن سعود كلية الشريعة، مطبعة الفرزدق التجارية، الرياض، ص٤٧،٤٩.

(٢) سورة الروم: ٥٩.

ويقال أيضاً: الذين حرقهم علي بن أبي طالب ﷺ بالنار، كُلّهم يدّعون الإسلام، وهم من أصحاب علي ﷺ، وتعلّموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟!!

أتظنون أنّ الصحابة يكفّرون المسلمين؟؟!!...

ويقال أيضاً: الذين قال الله فيهم: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾[(١)]، أما سمعت الله كفّرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ ويجاهدون ويصلّون معه ويزكون ويحجون ويوحدون؟ وكذلك الذين قال الله فيهم: ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾[(٢)]، فهؤلاء الذين صرّح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح.. فتأمل هذه الشبهة، وهي قولهم: تكفّرون من المسلمين أُناساً يشهدون أن لا إله إلاّ الله، ويصلّون ويصومون!؟ ثم تأمّل جوابها، فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق][(٣)] انتهى.

يقول محمد الفقي: [كثير من أدعياء العلم يجهلون "لا إله إلاّ اللّه" فيحكمون على كل من تلفّظ بها بالإسلام، ولو كان مجاهراً بالكُفر الصراح، كعبادة القبور والموتى والأوثان، واستحلال المحرّمات المعلوم تحريمها من الدين بالضّرورة، والحكم بغير ما أنزل اللّه، واتخاذ أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون اللّه.

ولو كانت لهؤلاء الجهلة قلوبٌ يفقهون بها لعلموا أن معنى "لا إله إلاّ اللّه" البراءة من عبادة غير الله وإعطاء العهد والميثاق بالقيام بأداء حق اللّه في العبادة، يدلّ على ذالك قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[(٤)].

وقد شهد النبي ﷺ للخوارج بكثرة الصلاة والصيام وقراءة القرآن المشحون بلا إله إلاّ الله، ومع ذلك فقد حَكَم عليهم بالكفر، وبأنّهم يمرُقون من الدين كما يمرُق السهم من الرميّة، وكما قال في الصحيحين: "لو أدركتهم لقتلتهم قتل عاد"[(٥)]، ولو كان مجرد التلفظ بلا إله إلاّ الله كافياً ما وقعت الحرب والعداء بين

---

(١) سورة التوبة: ٧٤.

(٢) التوبة: ٦٥،٦٦.

(٣) كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب ضمن مجموعة التوحيد للشيخين أحمد بن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب، نشر دار إحياء التراث، ص٨٠-٨٢.

(٤) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٥) رواه الشيخان: صحيح مسلم، حديث رقم (١٠٦٤)، ج٢ص٧٤١، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. صحيح البخاري، حديث رقم (٦٩٩٥)، ج٦ص٢٧٠٢، دار ابن كثير للنشر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧-١٩٨٧، تحقيق مصطفى ديب البغا.

الرسول ﷺ وبين المشركين الذين كانوا يفهمون – لا إله إلاّ الله – أكثر ممّا يفهمها أدعياء العلم في هذا الزمان، ولكن طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون][1] ا.هـ.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله يرحمه الله: [ولا ريب أنه لو قالها أحد من المشركين (أي لا إله إلاّ الله) ونطق أيضاً بشهادة أن محمداً رسولُ الله، و لم يعرف معنى الإله ولا معنى الرسول، وصلّى، وصام، وحجّ، ولا يدري ما ذاك إلاّ أنه رأى الناس يفعلونه، فتابعهم و لم يفعل شيء من الشرك، فإنه لا يشكُّ أحدٌ في عدم إسلامه. وقد أفتى بذلك فقهاء المغرب كُلّهُم في أول القرن الحادي عشر أو قبله في شخص كان كذلك، كما ذكره صاحب (الدُرّ الثمين في شرح المرشد المُعين) من المالكية، ثم قال شارحه: "وهذا الذي أفتوا به جليّ في غاية الجلاء، لا يمكن أن يختلف فيه اثنان][2] ا.هـ.

وقال أيضاً: [قوله: "من شهد أن لا إله إلاّ الله"، أي: من تكلم بهذه الكلمة عارفاً لمعناها، عاملاً بمقتضاها باطناً وظاهراً، كما دلّ عليه قوله: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، وقوله: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾. أمّا النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عَملٍ بمقتضاها، فإنّ ذلك غير نافع بالإجماع.. فتبّاً لمن كان أبو جهل ورأس الكفر من قريش وغيرهم أعلم منه بلا إله إلاّ الله][3].

يقول الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ: [والمرء قد يكره الشرك ويحب التوحيد، لكن يأتيه الخلل من عدم البراءة من أهل الشرك، وترك موالاة أهل التوحيد، ونصرهم، فيكون متّبعاً لهواه داخلاً من الشرك في شعب، تَهدُم دينه وما بناه، تاركاً من التوحيد أُصولاً وشُعباً، لا يستقيم معها إيمانه الذي ارتضاه، فلا يُحب ولا يُبغض، ولا يُعادي ولا يُوالي لجلال من أنشأه وسوّاه، وكل هذا يؤخذ من شهادة لا إله إلاّ الله][4].

ويقول سيد قطب رحمه الله: [لقد استدار الزمان كَهيئته يوم جاء هذا الدين للبشرية.. بلا إله إلاّ الله، فقد ارتدّت البشرية إلى عبادة العباد وجور الأديان ونكفت عن لا إله إلاّ الله، وإن ظلّ فريق منها يردد على المآذن (لا إله إلاّ الله) دون أن يُدرك مدلولها، ودون أن يعي هذا المدلول وهو يردده، ودون أن يرفض شرعيّة الحاكميّة التي يدّعيَهَا العباد لأنفسهم...

[..والذين يَظُنون أنفسهم في (دين الله) لأنهم يقولون بأفواههم نشهد أن "لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله" ويدينون لله فعلاً في شؤون الطهارة والشعائر والزواج والطلاق والميراث... بينما هم يدينون فيما وراء هذا الركن الضيّق لغير الله، ويَخضعُون لشرائع لم يأذن بها الله، – وكثرتها ممّا يخالف مخالفه صريحة شريعة الله – ثم هم يبذُلون أرواحهم وأموالهم وأعراضهم وأخلاقهم – أرادوا أم لم يريدوا– ليُحققُوا ما تطلبه منهم الأصنام

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق محمد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، سنة ١٩٥٧م، الطبعة السابعة، هامش الصفحة٢١٧.

(٢) بحث الحق واليقين لأبي عبد الرحمن الأثري، دار الحق للنشر (نسخة وورد إلكترونية)، ص٢٣ منقولاً من كتاب تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله، تحقيق زهير الشاويش، طبعة المكتب الإسلامي،بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، ص٥٨.

(٣) البحث السابق، ص١٩ نقلاً عن مصدره (تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد)، ص٥١.

(٤) الدُرر السَنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة الخامسة، ج٨، ص ٣٩٦.

الجديدة، فإذا تعارض دينٌ أو خلقٌ أو عرضٌ مع مطالب هذه الأصنام، نبذت أوامر الله فيها ونفّذت مطالب هذه الأصنام.. الذين يظنون أنفسهم مسلمون وفي (دين الله) وهذا حالهم.. عليهم أن يستفيقوا لما هم فيه من الشرك العظيم..

إن دين الله ليس بهذا الهزال الذي يتصوره من يزعمون أنفسهم (مسلمون) في مشارق الأرض ومغاربها، إن دين الله منهج شامل لجزئيات الحياة اليومية وتفصيلاتها. والدينونة لله وحده في كل تفصيل وكل جزئية من جزئيات الحياة اليومية وتفصيلاتها – فضلاً على أصولها وكُلِّيَتهَا – هي دين الله وهى الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً سواه.

ولينظر الناس في كل بلد لمن المقام الأعلى في حياتهم؟ ولمن الدينونة الكاملة؟ ولمن الطاعة والاتّباع والامتثال؟.

وكذلك إن قضية العبادة ليست قضية (شعائر) وإنما هي قضية دينونة واتّباع ونظام وشريعة وفقه وأحكام وأوضاع في واقع الحياة.. وإنها من أجل أنها كذلك استحقّت كل هذه الرسل والرسالات واستحقّت كل هذه العذابات والتضحيات..

وهنا يقف الدعاة ليواجهوا الجاهلية العنيدة.. إن البشرية اليوم بجملتها تزاول رجعيّة شاملة إلى الجاهلية التي أخرجها منها آخر رسل الله محمد ﷺ وهى الجاهلية التي تتمثل في صور شتى:

بعضها يتمثل في الحاد بالله سبحانه وإنكار لوجوده.. فهي جاهلية اعتقاد وتصور كجاهلية الشيوعيين..

وبعضها يتمثل في اعتراف مشوه بوجود الله سبحانه وانحراف في الشعائر التعبّدية وفى الدينونة والاتّباع والطاعة كجاهلية الوثنيين من الهنود وغيرهم.. وكجاهلية اليهود والنصارى كذلك..

وبعضها يتمثل في اعتراف صحيح بوجود الله سبحانه وأداء الشعائر التعبّدية.. مع انحراف خطير في تصور دلالة شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله.. ومع شرك كامل في الدينونة والاتّباع والطاعة وذلك كجاهلية من يسمُّون أنفسهم (مسلمين) ويظنون أنهم أسلموا واكتسبوا صفة الإسلام، وحقّوقه بمجرّد نطقهم بالشهادتين وأدائهم للشعائر التعبّديّة.. مع سوء فهمهم لمعنى الشهادتين ومع استسلامهم ودينونتهم لغير الله من العبيد..

وكُلُّهَا جاهلية وكلها كُفر بالله كالأولين.. أو شرك بالله كالآخرين..

إن رؤية واقع البشرية على هذا النحو الواضح تؤكد لنا أن البشرية اليوم بجُملتها قد ارتـدّت إلى جاهلية شاملة، وأنها تعاني رجعية نَكِدة إلى الجاهلية التي أنقذها منها الإسلام مرات متعدّدة، كان آخرها الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ..

وهذا بدوره يُحدد طبيعة الدور الأساسي لطلائع البعث الإسلامي والمُهمة الأساسية التي عليها أن تقوم بها للبشرية، ونقطة البدء الحاسمة في هذه المهمّة...

..والذين يدّعون صفة الإسلام ثم يقيمون مجتمعاتهم على قاعدة أو أكثر من تلك العلاقات الجاهلية التي أحلّ الإسلام محلها قاعدة العقيدة، إمّا إنهم لا يعرفون الإسلام، وإمّا أنهم يرفضونه.

والإسلام في كلتا الحالتين لا يعترف لهم بتلك الصفة التي يدّعونها لأنفسهم وهم لا يطبقونها.. بل يختارون غيرها من مقوّمات الجاهلية فعلاً.

هذا المعلم الواضح يجب أن يقف أمامه الدعاة طويلاً، فهذه قاعدة العقيدة، إنّ إعلان ربوبية الله للعالمين هي بذاتها إعلان تحرير الإنسان. تحريره من الخضوع والطاعة والتّبعيّة والعبوديّة لغير الله. تحريره من شرع البشر، ومن هوى البشر، ومن تقاليد البشر، ومن حاكميّة البشر، وإعلان ربوبية الله للعالمين لا يجتمع مع خضوع أحد من العالمين لغير الله، ولا يجتمع مع حاكميّة أحد بشريعة من عنده للناس.. (والذين يظنون أنهم مسلمون بينما هم خاضعون لشريعة من صنع البشر — أي لربوبية غير ربوبية الله – واهمون إذا ظنوا لحظة واحدة إنّهم مسلمون .. إنهم لا يكونون في دين الله لحظة واحدة وحاكمهم غير الله، وقانونهم غير شريعة الله، إنهم في دين حاكمهم ذاك.. في دين الملك لا في دين الله)..

..والذين يقولون إنّهم (مسلمون) ولا يقيمون ما أنزل إليهم من ربهم، هم كأهل الكتاب.. ليسوا على شيء..

والذي يريد أن يكون مسلماً، يجب عليه بعد إقامة كتاب الله في نفسه، وفى حياته أن يواجه الذين لا يقيمونه بأنهم ليسوا على شيء حتى يقيموه، وإن دعواهم أنهم على دين، يردّها عليهم رب العالمين.

فالمفاصلة في هذا الأمر واجبة.. ودعوتهم إلى الإسلام من جديد هي واجب المسلم الذي أقام كتاب الله في نفسه وفى حياته. فدعوى الإسلام باللسان والوراثة دعوى لا تفيد إسلاماً، ولا تحقق إيماناً، ولا تعطي صاحبها صفة التدين في أي ملّة وفى أي زمان..

إن دين الله ليس راية ولا شعاراً ولا ورثة.. إن دين الله حقيقة تتمثل في الضمير وفى الحياة سواء. تتمثل في عقيدة تعمر القلب وشعائر تقام للتعبد ونظام يصرف الحياة. ولا يقوم دين الله إلاّ في هذا الكلّ المتكامل، ولا يكون الناس على دين الله إلاّ وهذا الكلّ المتكامل متمثل في نفوسهم وفى حياتهم..

وكل اعتبار غير هذا الاعتبار تمييع للعقيدة، وخداع للضمير، لا يقدم عليه مسلم نظيف الضمير.. وعلى المسلم أن يجهر بهذه الحقيقة، ويفاصل الناس كلهم على أساسها، لا عليه مما ينشأ عن هذه المفاصلة والله هو العاصم.

وصاحب الدعوة لا يكون قد بلّغ عن الله، ولا يكون قد أقام الحجّة لله على الناس إلاّ إذا أبلغهم حقيقة الدعوة كاملة، ووصف لهم ما هم عليه، كما هو في حقيقته بلا مجاملة ولا مداهنة، فهو قد يؤذيهم إن لم يبين لهم إنهم ليسوا على شيء.. وإن ما هم عليه باطل كلّه من أساسه.. وإنّه هو يدعوهم إلى شيء آخر تماماً، غير ما هم عليه.. يدعوهم إلى نقلة بعيدة ورحلة طويلة، وتغيير أساسي في تصوراتهم، وفى أوضاعهم وفى أخلاقهم..

فالناس يحبّون أن يعرفوا من الدّاعية أين هم من الحق الذي يدعوهم إليـــه.. ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾(١). ويقول أيضاً: وكذلك ينحصر معنى العبادة في الجاهلية، حتى يقتصر على مجرّد تقديم الشعائر، ويحسب الناس أنهم متى قدموا الشعائر لله وحده، فقد عبدوا الله وحده.. بينما كلمة العبـــادة ابتداءً مشتقة من عبد، (عبد) تفيد ابتداءً (دان وخضع). وما الشعائر إلاّ مظهر واحد من مظـــاهر الدينونـــة والخضوع لا يستغرق كل حقيقة الدينونة ولا كل مظاهرها..

..﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾(٢). الإسلام الذي ليس هو مجرد دعوى، وليس مجرد راية وليس مجـــرّد كلمة تقال باللسان، ولا حتى تصوراً يشتمل عليه القلب في سكون، ولا شعائر فرديّة يؤدّيها الأفراد في الصلاة والحجّ والصيام.. لا.. فهذا ليس بالإسلام الذي لا يرضى الله من الناس ديناً سواه، إنما الإســـلام استـــسلام، الإسلام الطاعة والاتّباع، الإسلام تحكيم الله في أمور العباد، والإسلام توحيد الألوهية والقوامة.

إن مجرّد الاعتراف بشريعة منهج أو حكم من صنع غير الله هو بذاته خروج من دائرة (الإسلام).. إنّ هـــذا الاعتراف فوق أنه يخالف بالضرورة مفهوم الإسلام الأساسي، فهو في الوقت ذاته يسلم الخلافة في هذه الأرض للعمى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض.. فهـــذا الفساد في الأرض، مرتبط كل الارتباط بقيادة العمى](٣).

خلاصـــة:

ونخرج من هذا الكلام للعلماء بما يلي:

١- إن مدخل الشخص للإسلام يختلف باختلاف سبب كفره، فمن كفر بسبب جحده للرســـالة يـــدخل باعترافه وإقراره بها، ومن كفر بسبب اعتقاده أن الرسالة إلى العرب خاصّة يدخل بأن يعترف بـــشمولية الرسالة، ومن كفر بسبب جحده للزكاة مثلاً يدخل باعترافه وإقراره بوجوبها.. وهكذا.

فمن كفر بسبب تحاكمه إلى الطاغوت؛ يدخل بالكفر به، وتحاكمه إلى الكتاب والسنة.

ومن كفر بسبب اعتقاده في الأموات في أنهم ينفعون أو يضرون أو يملكون أو يتصرفون مع الله تعـــالى..

ومن كفر بسبب عدم براءته من الطغاة وممن يعبدهم ويواليهم ويتّبعهم ويدخل في أحزابهم وجيوشـــهم وتشريعاتهم وشعائرهم..، أو بسبب عدم تكفيره للكافرين أو يشك في كفرهم أو يصحح مذهبهم ، كل أولئك ونحوهم يدخلون الإسلام بتصحيح توحيدهم والتبرؤ من معتقدهم الباطل الذي علم عنهم وتواتر.

فإن التوحيد: حاكمية، وولاء وبراء، وشعائر ونسك.. وإنّ الدين كله لله، وليس بعضه، كـــذلك لـــيس الدين هو الشعائر فقط..

---

(١) سورة الأنفال: ٤٢.

(٢) سورة آل عمران: ١٩.

(٣) تفسير في ظلال القرآن.

فلينقذ الإنسان نفسه وأهله من الكفران والنيران، قبل فوات الأوان...

٢- وأي قوم تواتر عنهم واشتُهر أنهم يتلفظون بالشهادة، أو بالشهادتين، ويدينون لله ببعض الدين، ولكن اشتُهر عنهم وتواتر أنهم يعبدون مع الله سبحانه غيره في جوانب أخرى من الدين... (كما هو حال واقع من يتسمون بالمسلمين اليوم).. فدلالة إسلامهم هي البراءة مما اشتُهر وتواتر عنهم أنهم يفعلُونه من نواقض الإسلام.. وليس مجرد التلفظ بالشهادتين والصلاة والشعائر..

وقد يختلف أقوام عن أقوام في دلالة وقرينة إسلامهم.. وكذلك قد تختلف القرينة على الإسلام من طائفة إلى أخرى، بحسب ما تواتر عنهم من معتقدات ناقضه للإسلام، وحتى في حق ما اشتُهر عن شخص بعينه من نواقض، أو انتماء لطائفة معينة.. كما حدث في عهد رسول الله ﷺ في تغير القرينة والدلالة على دخول الإسلام لقريش ومشركي العرب، وبين اليهود في المدينة.. وكما حدث في عهد أبي بكر الصديق ﷺ في دلالة وقرينة إسلام مانعي الزكاة، وأتباع مسيلمة مع أنهم كانوا يفعلون كل الشعائر أكثر من أقوامنا الآن.. ولكن تواتر واشتُهر عنهم ناقض من جانب آخر من الدين.

وهذا أمرٌ واضحٌ وبديهي لا يحتاج لكثرة جدل ولا ينكره إلاّ معاند أو مجادل حيث أنه من أنكر شيء من أمور الدين، أو تواتر عنه ذلك.. أصبح من البديهي أن لا يعتبر (في حقّه) أي قول أو عمل من أعمال الإسلام، حتى يقّر بخلاف ما أنكره أو تواتر عنه من معتقد مخالف.

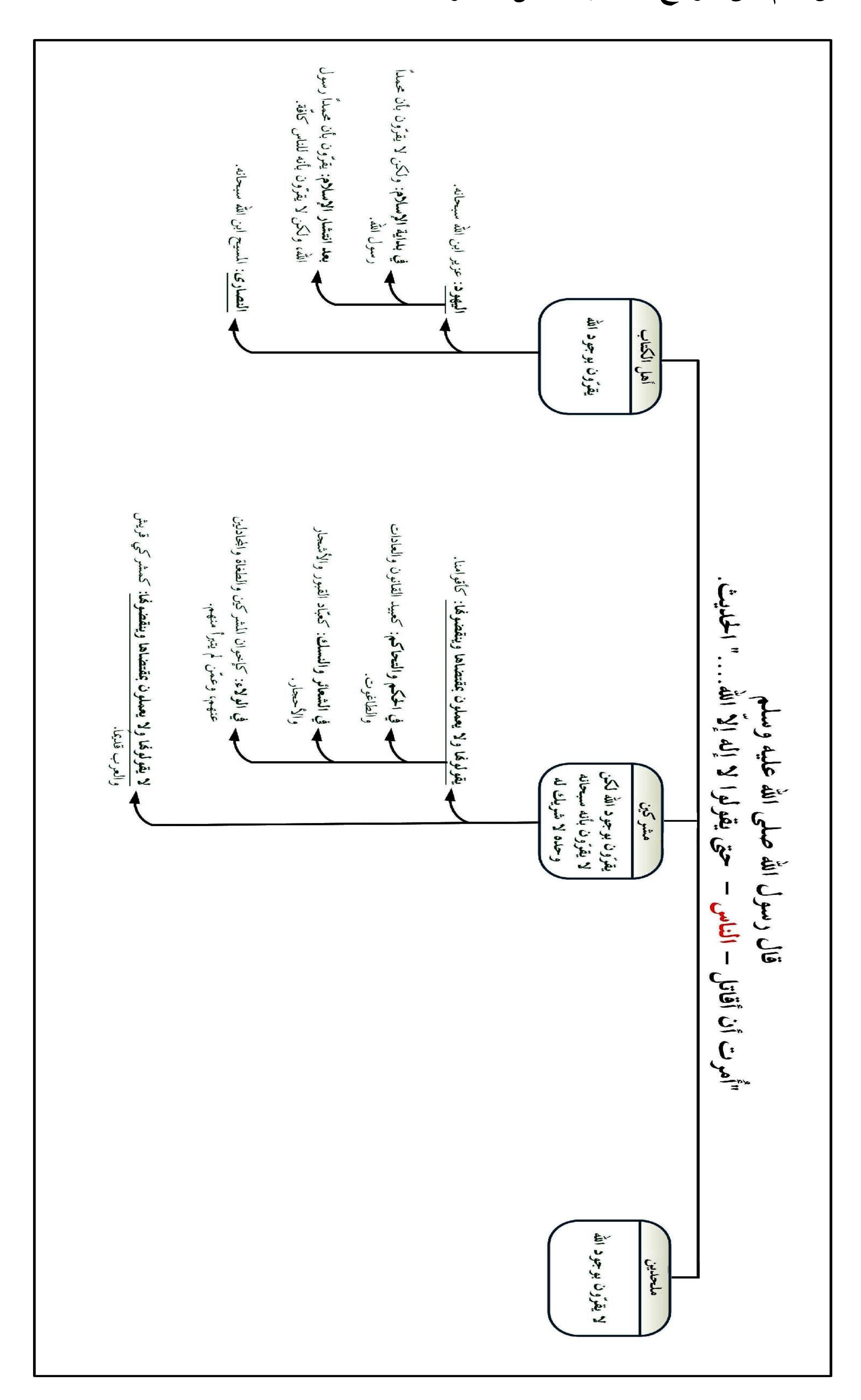
وإنه لمن الجدال بالباطل، ومحاولة باطلة لتحريف الكلم عن مواضعه؛ أن يُستدلّ بأدلّة شرعية صحيحة في غير واقعها المناسب لها!!؟؟.

ونعلم الآن أن اليهود في فلسطين يقولون (لا إله إلاّ الله محمدٌ رسول الله) فليهنؤا من يحكُمُونَ على كل من تلفّظ بالشهادتين أنّه مسلم حتى يروا منه ناقض... أو.. لا..؟!!

﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴾[1]، فاتقوا الله عباد الله في القول والعمل، وافهموا عن الله تعالى ورسوله ﷺ.. وتجرّدوا..

(١) سورة القمر: ٤٣.

ملحـــق هام عن الواقع الآن والدلائل المعتبرة:



حيث أن كل طائفةٍ أو شخصٍ قد يختلف عن غيره في ما اشتُهر وتواتر عنه من ناقض لإسلامه، وعلى هذا لا تعتبر الدلائل والعلامات الأخرى في حقّه حتى نعرف رجوعه عمّا اشتُهر عنه من ناقض:

أمثلة عن أنواع معتقدات الأقوام الفاسدة على مرور الأعوام الماضية:

- عدم الشهادة بوجود إله – الملاحدة.
- عدم الشهادة بالتوحيد – قريش والمجوس.
- الشهادة بالتوحيد وعدم الشهادة بالرسالة – يهود المدينة.
- الشهادة بالتوحيد وبالرسالة ولكن عدم التعميم – يهود العراق قديماً وفلسطين الآن.
- القيام بالشهادتين والصلاة والحج والجهاد وكلُّ الدين ما عدا الزكاة – مانعي الزكاة.
- القيام الشهادتين والصلاة والزكاة والجهاد وكُلُّ الدين عدا تصديقهم بنبوة مسيلمة الكذاب – أهل اليمامة.
- القيام بالشهادتين والصلاة والحج وبعض الدين ماعدا الحاكميّة والولاء والبراء ودعاء الله وحده – أقوامنا.
- القيام بالشهادتين والصلاة والسنن والحج والعمرة وكل الدين ما عدا البراءة من المشركين – المتدينين.

والطوائف المتدينة أنواع، كل منها على نوع من الضلالة قد اشتُهر وتواتر عنهم، وقد تجتمع أكثر من ضلالة في الطائفة الواحدة.

وهذه بعض أنواعهم على الجملة لا على التفصيل:

- **الباردين:** الصوفية – التبليغ – السلفيّة – بعض الإخوان المسلمين.
- **المتحمسين:** الجهاد – الجماعة الإسلامية – جماعة إخوان العذريين.

أمّا الباردين فلا حاجة للتعريف بهم..!

وأمّا المتحمسين فنذكر بعض أحوالهم المشهورة عنهم:

الجهاد: يكفّرون الطغاة وجهاز الأمن وعندهم مرتدون. أمّا العوام والأتباع والطوائف الأخرى فمعذورون بالجهل، لا يدخلون الجنديّة ويكفّرون من يدخُلها راغباً (أمّا جنود الخدمة الإلزامية فلا يُكفرّوا لأنّهم مستضعفون – أي عندهم إكراه عام – ومعذورون)، يكرهون الموحّدين كُرهاً شديداً قريباً من كُرهِهِم للطغاة أو أَشدُّ أحياناً.

الجماعة الإسلامية: يكفّرون الطغاة وعندهم مرتدون. لا يُعذرون بالجهل بالعموم (لكن لا يكفّرون المعين منهم حتى يقيمون عليه الحجّة)، يُعذِرون من يَحكُم بإسلام المشركين (أي عندهم الطوائف المتديّنة مسلمة حتى من يدخل في أحزاب الطاغوت)، يُجيزُون التحاكم للطاغوت في غياب الدولة المسلمة ومرحلة الاستضعاف، يُجيزون الدخول لجند الطاغوت للمصلحة الراجحة..

إخوان العذريين: عندهم الطرف الثالث في سلسلة المشركين مسلم معذور.

إنها السنن.. إنّا لله وإن إليه راجعون.. والله المستعان.

ملاحظة: هذه خلاصة توضيحية عامّة ومجملة لِما تواتر على هؤلاء الناس من نواقض للإسلام، ولكن قد تجد أحدَ تلك الأصنافِ والطوائفِ عنده أكثرُ من ناقضٍ واشتُهر عنه أيضاً، مثل أن تجد بعض النصارى والمشركين دخلوا في الإلحاد الآن، ويقولون لا إله والحياة مادّة ولا يَعترِفُونَ بعالمِ الغيبِ أصلاً ولا بالغيبيات. ومن أهل الكتاب من كفره في الحكمِ والتحاكمِ والشعائرِ والولاءِ مع الناقض الأصلي لهم وهو عدمُ الإقرارِ برسالةِ خاتمِ الأنبياء والمرسلين أو بنبوة عيسى ابن مريم عليه السلام كاليهود الذين كانوا لا يعترفون برسالة محمد ﷺ ثم تَغيّرُوا بأن أصبحوا لا يعترفون بعمومِ الرسالة، وكالمشركين قديماً كانوا لا يُقرّون بالشهادتين ولا يعملون بمقتضاهما فَتَغيّرُوا الآن وأَصبحُوا يقولونهما ويعملون بما يناقضهما، بل ويحاربون أهلهما، وكمن كان لا يُكفّرُ المشركين ثم تغير وأصبح يُكفّرُهُم ولكن لا يُكفّرُ من لا يُكفّرهُم، أو كان يَعذُرُ فاعل الشركِ الأكبرِ ويُؤاخيه، ثم تغير وأصبح لا يَعذُر فاعلَ الشركِ الأكبرِ بالعموم ولكن يَعذُر المعين منهم!!

فالناس قد يزدادون كفراً على كفرهم، وقد يتغير حالُ أحدهم فَيُنْقِص من كُفرِهِ قليلاً.!؟

وهكذا ترى قد يتغير نوع كفر الناس زيادةً أو نُقصاناً.. وكُلٌ بحسبِ ما تواتر واشتُهر عنهُم في زمنٍ ما.

والكفر مِلّةٌ واحدة ومرجعهم إلى الخلودِ في دارٍ واحدة. والعياذ بالله من الكفران والخسران، والهوان والخذلان والنيران.

والله الهادي والله المستعان

والحمد لله رب العالمين